تفسير البغوي

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

(سيقول الذين أشركوا) لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك باالله وتحريم ما لم يحرمه االله قالوا (لو شاء االله ما أشركنا ولا آباؤنا) من قبل ، (ولا حرمنا من شيء) من البحائر والسوائب وغيرهما ، أرادوا أن يجعلوا قوله : (لو شاء االله ما أشركنا) حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، وقالوا إن االله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله ، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك ، فقال االله تعالى تكذيبا لهم : (كذلك كذب الذين من قبلهم) من كفار الأمم الخالية ، (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا .ويستدل أهل القدر بهذه الآية ، يقولون : إنهم لما قالوا : لو شاء االله ما أشركنا كذبهم االله ورد عليهم ، فقال : " كذلك كذب الذين من قبلهم " .قلنا : التكذيب ليس في قولهم " لو شاء االله ما أشركنا " بل ذلك القول

صدق ولكن في قولهم : إن االله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه ، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف (الآية 28) : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا واالله أمرنا بها) ، فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى : (قل إن االله لا يأمر بالفحشاء) .والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم : " لو شاء االله ما أشركنا " ، قوله : (كذلك كذب الذين من قبلهم) بالتشديد ولو كان ذلك خبرا من االله - عز وجل - عن كذبهم في قولهم : (لو شاء االله ما أشركنا) لقال كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب . وقال الحسن بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيما وإجلالا الله - عز وجل - ، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك ، لأن االله تعالى قال : (ولو شاء االله ما أشركوا) وقال : (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء االله) (الأنعام ، 111) ، والمؤمنون يقولون ذلك ، ولكنهم قالوه تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة باالله وبما يقولون ، نظيره قوله - عز وجل - : (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) (الزخرف ، 20) ، قال االله تعالى : (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) (الأنعام ، 116) .وقيل في معنى الآية : إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه

حجة لأنفسهم في ترك الإيمان ، ورد عليهم في هذا لأن أمر االله بمعزل عن مشيئته وإرادته ، فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد ، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته ، فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد .(قل هل عندكم من علم) أي : كتاب وحجة من االله ، (فتخرجوه لنا) حتى يظهر ما تدعون على االله تعالى من الشرك أو تحريم ما حرمتم ، (إن تتبعون) ما تتبعون فيما أنتم عليه ، (إلا الظن) من غير علم ويقين ، (وإن أنتم إلا تخرصون) تكذبون .